

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
فخري كريم

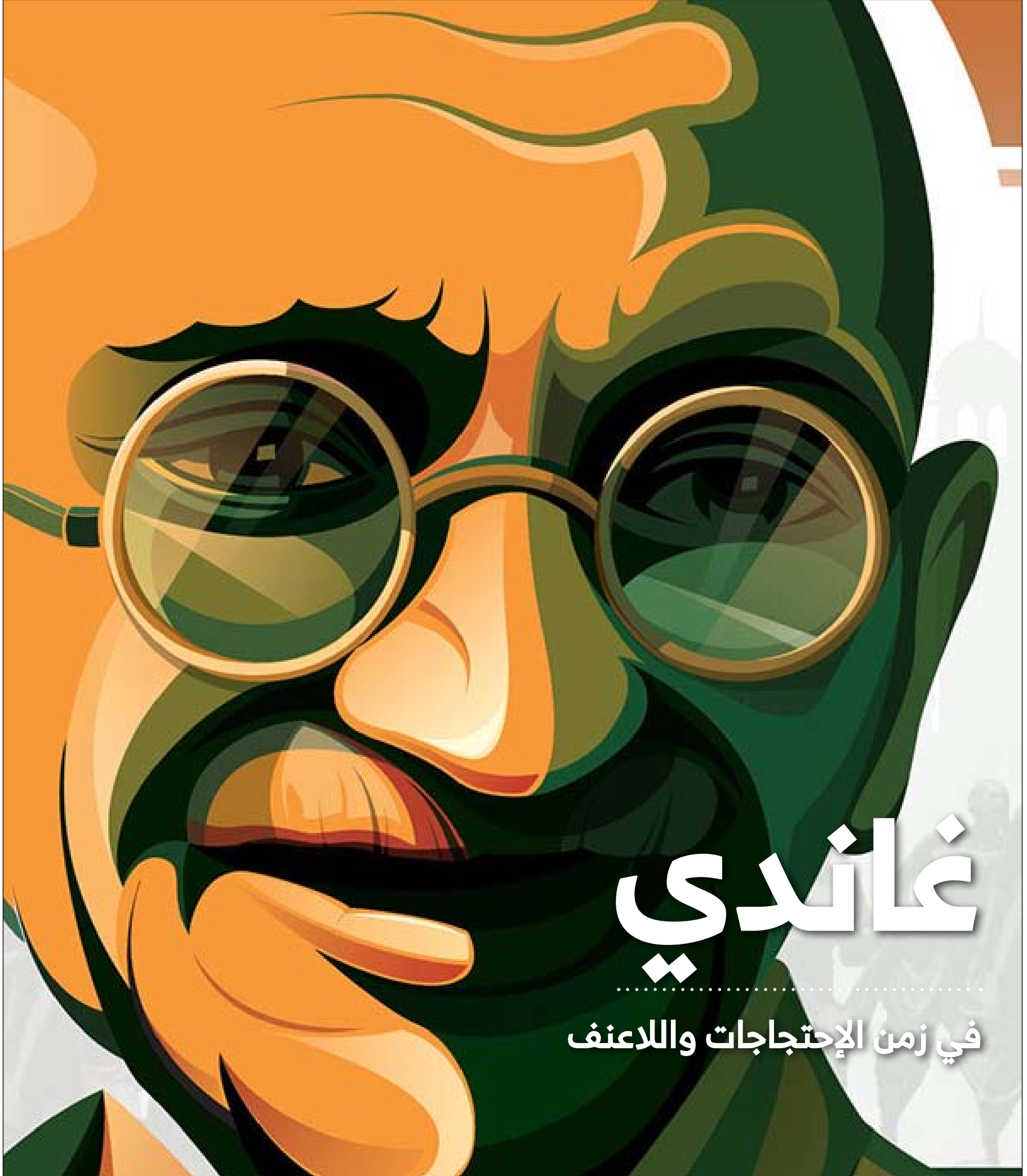
ملحق ثقافي أسبوعي يصدر عن جريدة المدى

المدى

manarat

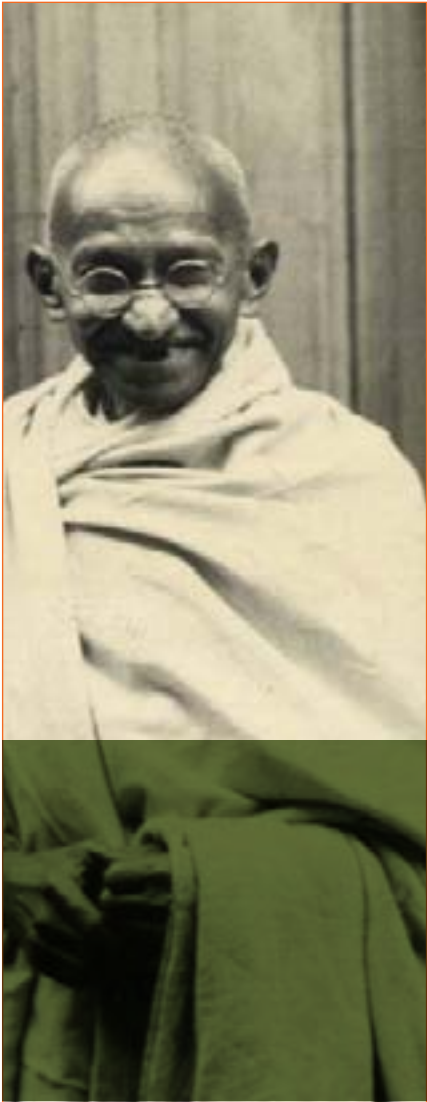
WWW.almadasupplements.com

العدد (4546) السنة السابعة عشرة - الأربعاء (13) تشرين الثاني 2019



غاندي

في زمن الإحتجاجات واللاعنف



اللاعنف

بين مارتن لوثر كينغ وغاندي

تأثر القس الزنجي مارتن لوثر كينغ كثيراً بدعوات الزعيم الهندي المهاتما غاندي رائد مبدأ اللاعنّف، بأفكاره ونظرياته وأساليبه العملية في تطبيق هذا المبدأ في الواقع ونجاحه في الوصول إلى الأهداف التي تبنّاها خلال نضاله السياسي والاجتماعي.. فقد اعتمد غاندي على مبدأ اللاعنّف الذي يستند إلى احترام عميق للقانون، ويدعو الناس إليه بقوله: إن على الذين يستخدمونه أن يفعلوا ذلك بطريقة غير عنيفة دائماً^(١) ويركز غاندي أيضاً على واجب الطاعة المدنيّة العام، وعلى ضرورة محاولة كل الصور الدستورية للعمل السياسي أولاً، وهذا التصور الذي يطرح هو تصور مطلق للاعنف، وهو التصور الذي عدّ نظرية سياسية وصلت إلى مصاف المبادئ السامية للإنسانية.

د. أسعد الامارة

مارتن لوثر كينغ

لقد رسخ ((المهاتما غاندي)) مبادئ اللاعنّف والتي يطلق عليها أحياناً مبدأ المسالمة، ويقول بهذا الصدد: إن عقيدتي بشأن اللاعنّف لم تعتمد على سلطان شخص بل نشأت من دراستي لكل أديان العالم. ويضيف: أن الديانات المختلفة قاطبة هي زهور روضة واحدة، وأفنان دوحه باسقة^(٢).

أما مارتن لوثر كينغ ((الأصغر)) فقد جعل من رسالة ومنهج المهاتما غاندي في اللاعنّف حقيقة، بقوله: ربما يبلغ مبدأ اللاعنّف إلى العالم من خلال الزنجي^(٣). لقد كان (مارتن لوثر كينغ) لا يميل إلى النزعة القتالية كثيراً، وكان قادراً على الحوار المناسب مع كل حالة من الحالات حتى النهاية على أن ترضي الطرفين.. فهو يؤمن إيماناً كاملاً باللاعنف، ويردد دائماً أن اللاعنّف قد ظهر، ولكن كينغ الغاندي لم يظهر بعد.

إن مارتن لوثر كينغ كان باحثاً جادا عن فهم يمكن من إزالة الأزمات الاجتماعية، وقد وجد هذه التوجهات

والأراء وتطبيق بشكل مباشر في مبدأ غاندي للاعنّف ووجد طراً على وأساليب غاندي في سبيل النضال ضد التفرقة العنصرية في أمريكا^(٤).

إن مبدأ اللاعنّف نشأ لدى غاندي عندما نشر كتابه الشهير (استقلال الهند ١٩٠٨)، وعبر فيه عن هذا المبدأ بوصفه أداة للنضال السياسي، وأعلن جوهراً هذا المبدأ في فلسفته لمقولته الشهيرة: (كل شيء يقهر أمام العذاب والإرادة)، وإزاء ذلك يضيف غاندي على هذا المبدأ بقوله: إن زوال الغناء التام والإعراض الدائم عن الذات يبطئ كل إرادة شر نحو الكائنات الأخرى، ويُلَبِّغ صاحبه درجة معرفة وحدة الحياة والاتحاد مع كل شيء في الكون^(٥).

إن مبدأ اللاعنّف أو ما يسمى بالمفهوم السياسي بالعصيان المدني أو ما يسميه غاندي «مبدأ المسالمة» اكتسب قوته وثباته من أساليب المهاتما غاندي أوائل القرن العشرين، ومارسه من أجل قضية تحرير الهند من الاستعمار البريطاني، ونجح إلى حد كبير في تحقيق أهدافه، وقد استعاره القس الزنجي، داعية السلام لتحرير السود في أميركا «مارتن لوثر كينغ». وقد تبني فكرة غاندي وأكد ذلك بقوله: إن روح الحركة وحيويتها قد جاءت من الدين، وأما طريقها فقد جاءت

من غاندي^(٦)، رغم أن بعض نهجه قد يختلف بعض الشيء عن تعاليم غاندي التي ترفض الاعتراف بالسلطة أو بوجود الحكومة... وإزاء ذلك يرى (غاندي) أن اللاعنّف هو التعبير النشيط العملي لمثل هذا الشعور، لأنّ التطهير الشخصي يقضي إلى تطهير الآخرين ويحتم قمع الشر والضعحية بالذات، أو كما قال: ينبغي للشعب أن يقدم على مذابح الحرية قربان قلب طاهر وعذاباً صابراً، سيبلج صبركم بلاءً شديداً يسلم إلا من صبر إلى النهاية، بهذه الطريقة وحدها تنعمون الحرية الحقيقية والاستقلال الحقيقي^(٧). أما (كينغ) فقد انطلق من فكرة اللاعنّف وهي فكرة صحيحة، أراد أن يلفت لها الانتباه بل ذهب إلى حد أبعد بقوله: علينا أن نقابل القوة المادية بالقوة الروحية، ويجب علينا أن نلسيء إلى إخواننا البيض^(٨).

لقد تحقق لهذا الداعية الزنجي بعض ما طالب به من خلال مبدأ اللاعنّف الذي استخدمه من أجل قضيته العادلة، وأول ما تحقق هو إزالة التمييز العنصري في القطارات والحافلات وفي الوسائل الأخرى، وقد كان (كينغ) سعيداً بأمر الحكومة، لأنه حقق انتصاراً مذهلاً بأساليب اللاعنّف. وإزاء ذلك علق قائلاً: لقد كنا شعباً مسالماً دائماً، نتحمل مشاكلنا بالكفاح الإنساني الفريد من نوعه، مهما تكرر استخدام العنف ضدنا.. وفي مقاربة مع رأي غاندي، زعيم الهند ورائد مبدأ اللاعنّف في هذه الاستراتيجية، يقول غاندي: لقد اقتنعتم الآن بأنني أطلب منهم المسالمة عند مطالبتهم بحقوقهم الإنسانية المشروعة، ولكنكم إذا استعملتم معي العنف، وأمرتم بسجنني، فسوف أعلن على الملأ صيامي، وإضرابي عن الطعام^(٩)...

ترى الفلسفة التي اعتمدها غاندي في نضاله على مبدأ اللاعنّف ما يلي: ألّق جانباً بالإساءة للغير، وبالغضب، وارضض عن الاحتقار، وسوء الأنية، لا تغذي في نفسك الحقد، حتى ولا على الذين يسبوتون إليك، فليكن لنا تجاه جميع المخلوقات الحية عواطف النبل، والمحبة، وحسن التعامل^(١٠)، وبهذه المسلمات وغيرها وعى غاندي أتباعه، وكتلك مارتن لوثر كينغ مؤيديه إلى

أحتفل العالم، في الثاني من تشرين الأول، باليوم العالمي للاعنف، الذي يوافق أيضاً ذكرى ميلاد الزعيم الهندي الكبير مهاتما غاندي، مؤسس الهند الحديثة وقائد الاستقلال ورائد فلسفة اللاعنّف والمنظم لحركتها الاستراتيجية، وذلك لنشر رسالة اللاعنّف وأهميتها والرغبة في تأمين ثقافة السلام والتسامح والتفاهم واللاعنف.

مارتن لوثر كينغ وغاندي

وقال الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، في رسالته الخاصة بهذا الإحتفال: «إن فلسفة غاندي تظل مصدر إلهام في وقت النزاعات التي طال أمدها والتحديات المعقدة وأنه أثبت أن اللاعنّف يمكن أن يغير التاريخ. ونقل الأمين العام عن غاندي القول إن» اللاعنّف أعظم قوة متاحة للبشرية»، مضيفاً أن هذه الروح تنعكس في ميثاق الأمم المتحدة الذي يدعو في فصله السادس إلى التماس التفاوض والوساطة والتحكيم والتسوية القضائية وغيرها من الوسائل السلمية للتصدي للأخطار التي تهدد السلام.

ولد الزعيم الهندي المهانداس كارامشاند غاندي الشهير بالمهاتما غاني في ٢ من تشرين الأول عام ١٨٦٩، في مدينة بوربندر الواقعة في مقاطعة كجرات التي كانت جزءاً من الإمبراطورية البريطانية، ونشأ غاندي ضمن عائلة ذات تاريخ عريق بالسياسة إذا أن جده تولى رئاسة الوزراء في بوربندر ووالد كان وزيراً في الحكومة وكانت والدته امرأة شديدة التدين منتظمة الصيام مما يجعله يتبنى مبادئ للاعنف والصيام والتأمل واعتماد أنظمة غذائية نباتية.

وأضى غاندي طفولة عادية وطبيعية في صغره وكان شاباً خجولاً وطالبا غير بارز في صفه الدراسي، وعندما بلغ سن الثالثة عشر تزوج زوجاً تقليدياً إلا أنه لم يكن راضياً عن زواجه لصغر سنه فبدأ بالتدخين وتناول الحوم وسرقة القود من خدم المنزل.

غاندي في طفولته

وإزاء ذلك يتابع (كينغ) بقوله: إن الناس لا يقدرون على أن يختلفوا في الرأي دون كراهية، وإن الخلافات أصبحت تجرب عن طريق العنف والاعتقال ونحن الذين خلقنا مناخ العنف والكراهية. ويطرح أفكاره الرئيسية في:

١- اللاعنّف.

٢- التغيير الاجتماعي.

٣- الفرد ومسؤولية المجتمع.

٤- ثمن الحرية.

أما غاندي فيرى أن جميع المخلوقات تتبغى السعادة، فليشملها عطفك إنن، ولتسع لها بأجمعها. أما (كينغ) فيعتقد أن اللاعنّف لا يمكن أن يستمر طويلاً وأن يحتفظ بقيافته دون مؤيدين واتباع يناصرونه. ويجب أن يكون طريقه في الحياة..

هذه الدعوات التي تبنّاها غاندي ومارتن لوثر كينغ حققت الانتصارات، وظفرت بالانتصار، إلا أنها كفلسفة خاصة بالمحبة لم تكن عملية دائماً، وإن زاد الإصرار أكثر على تكريس أعمق للأعنف وشمل دولاً أخرى ومذاهب شتى وحركات تحررية جديدة بهذا الاتجاه السلمي.

العمل والاجتهاد، فالتحق بكلية «ساملداس» لدراسة القانون تكريماً واحتراماً لوالده.

وفي عام ١٨٨٨، قاوم الشباب الهندي تحوله إلى الثقافة الغربية وأثناء فترة إقامته في لندن والتي دامت ثلاث سنوات، أصبح أكثر التزاماً باتباع نظام غذائي خال من اللحوم كما أنه انضم إلى اللجنة التفتّحية للجمعية النباتية في لندن، وبدأ بقراءة مجموعة من النصوص المقدسة ليتعلم المزيد عن الأديان في العالم.

و مارس غاندي مهنة المحاماة لمدة سنتين بالهند إلا أن فشل، حيث كانت أولى تجاربه بجانب عدم مخالفة الحظ له، بالإضافة إلى أن كفيته عمله لم تكن مرضية، حيث أثر على نفسه أن يمارسها بصدق، كي يتعد عن محاولة كسب القضايا بالحيل وسافر غاندي بعد ذلك لمناطق جنوب أفريقيا لمساعدة محاميين كبار من الأجانب.

وعند وصول غاندي لجنوب أفريقيا شعر بجزء نتيجة التمييز والعزل العنصري الذي يواجهه المهاجرون الهنود على يد السلطات البريطانية وسلطات البوير، وفي أول ظهور لغاندي في قاعة المحكمة في ديربان طلب منه خلع عمامته إلا أنه رفض وغادر المحكمة، وقد سخرت منه صحيفة «ذا ناتال أديفريتايزر» في إحدى طبعاتها وبعته بأنه «الزائر غير المرحب به».

وفي عام ١٨٩٢، وخلال رحلة قطار إلى بريتوريا، اعترض رجل أبيض على وجوده في مقصورة الدرجة الأولى على الرغم من حمله تذكرة القطار. وعندما رفض المهاتما المغادرة لآخر القطار سحب بالقوة والتي من على القطار في محطة في بيتر ماريتزبرج، في تلك الأثناء أيقظ العصيان المدني في نفسه عزيمة على تكريس نفسه لمحاربة «مرض التحيز اللوني المستعصي».

ومنذ تلك الليلة أفنى غاندي جهده لاستئصال هذا المرض واحتمل الصعاب في سبيل ذلك، ومنذ تلك الليلة كُبر الرجل المتواضع ضئيل الحجم ليصبح قوة عملاقة تمثل الحقوق المدنية.

وشكل غاندي مجلس «ناتال» التشريعي الهندي لمواجهة التمييز، وفي نهاية عقدة المستمر لعام، استعد للعودة إلى الهند، حتى أخبر في حفل وداعه عن مشروع لقانون صدر قبل تشكيل الجمعية التشريعية يوصي بحرمان الهنود من حق التصويت، وعلى الرغم من أنه لم يتمتع من منع القرار لكنه نجح في لفت الانتباه الدولي للظلم الحاصل، وكان ذلك عام ١٨٩٤.

وفي أواخر عام ١٨٩٦ أوائل عام ١٨٩٧، عاد غاندي إلى جنوب إفريقيا وكان له عمل قانوني مزدهر، وعند نشوب حرب البوير أنشأ مجموعة من سيارات الإسعاف جمع عمالها من الهنود بجانب ١١٠٠ متطوع لدعم الجانب البريطاني، حيث قال حينها: «إنه إذا كان الهنود يتوقعون أن يتمتعوا بحقوق مواطنة كاملة في الإمبراطورية البريطانية فإنهم بحاجة أيضاً إلى القيام بمسؤولياتهم».

العدد (4546) السنة السابعة عشرة - الأربعاء (13) تشرين الثاني 2019

١٥٠ عاما على ميلاد المهاتما غاندي:

«حياتي هي رسالتي»

غاندي في طفولته

واشغل غاندي خلال وجوده بجنوب إفريقيا دراسة الديانات بالعالم، بجانب انشغاله بقراءة النصوص الروحية الهندوسية المقدسة وكان يعتمد البساطة في حياته والتقشف واعتزال السلع المادية. في عام ١٩١٥، أسس غاندي معيدا لأشرم في أحمد آباد وكان يفتّح أبوابه لجميع الطوائف، لعيش غاندي حياة دينية تقتصر على الصيام والصلاة والتأمل مرتدا رداء بسيط ووشاح وأصبح يلقب بالمهاتما أي الروح العظيمة. ونظم غاندي أول حملة جماعية للعصيان تحت عنوان ساتيا غراها أي «الحقيقة والحزم»، ردا على القيود الجديدة المفروضة على حقوق الهنود من حكومة ترانسفال ومنها رفض الاعتراف بالزواج الهندوسي عام ١٩٠٦، وعقب سنوات من العمل للاحتجاج سجن مئات من الهنود بما فيهم المهاتما غاندي.

وفي عام ١٩١٢، قبلت حكومة جنوب أفريقيا حلا وسطا تفاوض عليه غاندي والجنرال جان كريستيان سموتس، يقتضى بالاعتراف بالزواج الهندوسي والغاء ضريبة الاقتراع للهنود.

وفي عام ١٩١٩، دعا غاندي إلى حملة «ساتياغراها» للإضرابات السلمية والاحتجاجات، عندما سمع قانون رولات الجديد من قبل الحكومة البريطانية والذي ينص على سجن المشتبه فيهم بالتحريض من دون محاكمة، ولكن اندلع العنف وبلغ نوره بمذبحة أمريشار، التي أطلقت فيها الحكومة البريطانية «نيران المدافع» على حشد من المتظاهرين العزل، مما أدى إلى وفاة ما يقارب ٤٠٠ شخص، وحينها لم يستطع غاندي التعهد بالولاء لبريطانيا وأعاد الجوائز التي حصل عليها من خدمته العسكرية بإفريقيا بجانب معارضته للتحديد الإلزامي للهنود خلال الحرب العالمية الأولى.

أصبح غاندي شخصية بارزة بحركة الحكم الذاتي للهند، ودعي الحكومة والمسؤولين والطلاب والجنود والمواطنين للتوقف عن العمل لصالح بريطانيا والتوقف عن الذهاب للمدارس الحكومية وغادرة المواقع الحربية والتوقف عن دفع الضرائب وشراء المنتجات البريطانية ومقاطعة شاملة، وبدأ غاندي باستخدام عجلة الغزل المحولة لصناعة ملابسها الخاصة، حتى أصبحت عجلة الغزل رزا للاستقلال الهندي.

وتولى غاندي زعامة المجلس الوطني الهندي ودعا لسياسة اللاعنّف وعدم التهاون من أجل تحقيق الحكم الداخلي، وفي عام ١٩٢٢، اعتقل غاندي واعترف بثلاث تهم تحريضية، وعلى الرغم من الحكم عليه بالسجن لست سنوات، أفرج عنه عقب إجراء عملية الزادة الدودية في عام ١٩٢٤.

في عام ١٩٢٠، عاد غاندي إلى العمل السياسي عقب انقطاعه، احتجاجا على قوانين الملح البريطانية التي لم تكنف بحظر جمع وبيع الملح على الهنود، بل فرضت ضريبة قاسية أضرت بأقفر فئة من الشعب بالتحديد، مما

الاحتجاج عقب وفاة زوجته.

وفي عام ١٩٤٥ عقب تغلب حزب العمال على المحافظين، لعب غاندي دورا فعلا في مفاوضات استقلال الهند مع المجلس الوطني الهندي ورابطة محمد على جناح للمسلمين، إلا أنه لم يحقق حلمه في وحدة الهند، وبدلا من ذلك قسمت شبه القارة الهندية إلى دولتين مستقلتين واحدة ذات الغالبية الهندوسية والأخرى ذات الغالبية الإسلامية.

وفي عام ١٩٤٧، ذهب غاندي في جولة المناطق اندلاع العنف والقتل بين المسلمين والهندوس في محاولة لنشر السلم وصام لإنهاء الدم،، إلا أن بعض الهندوس كانوا يعترضون غاندي خائفا لإظهاره تعاطفه مع المسلمين.

وفي عام ١٩٤٨، تم اغتيال غاندي من قبل هندوسي متعصب يدعى ناتهورام غودسي، الذي كان متضامًا من تعاطف غاندي مع المسلمين، ليرحل غاندي عن عالمنا في سن ٧٨ عاما، بعد أن أفنى حياته يدعو لنبد العنف. وفي عام ١٩٤٩، حكم على غودسي وشركائه بالإعدام شنقا في حين حكم على شركاء آخرين بالسجن مدى الحياة، من أبرز مقولاته: «حياتي هي رسالتي وسأحاول بدوري استكشاف البعض».

١٥٠ عاما على ميلاد المهاتما غاندي:

«حياتي هي رسالتي»

واشغل غاندي خلال وجوده بجنوب أفريقيا دراسة الديانات بالعالم، بجانب انشغاله بقراءة النصوص الروحية الهندوسية المقدسة وكان يعتمد البساطة في حياته والتقشف واعتزال السلع المادية. في عام ١٩١٥، أسس غاندي معيدا لأشرم في أحمد آباد وكان يفتّح أبوابه لجميع الطوائف، لعيش غاندي حياة دينية تقتصر على الصيام والصلاة والتأمل مرتدا رداء بسيط ووشاح وأصبح يلقب بالمهاتما أي الروح العظيمة. ونظم غاندي أول حملة جماعية للعصيان تحت عنوان ساتيا غراها أي «الحقيقة والحزم»، ردا على القيود الجديدة المفروضة على حقوق الهنود من حكومة ترانسفال ومنها رفض الاعتراف بالزواج الهندوسي عام ١٩٠٦، وعقب سنوات من العمل للاحتجاج سجن مئات من الهنود بما فيهم المهاتما غاندي.

وفي عام ١٩١٢، قبلت حكومة جنوب أفريقيا حلا وسطا تفاوض عليه غاندي والجنرال جان كريستيان سموتس، يقتضى بالاعتراف بالزواج الهندوسي والغاء ضريبة الاقتراع للهنود.

وفي عام ١٩٢٢، عقب إطلاق سراحه، عقد اتفاقا مع اللورد إيروين، لإنهاء عصيان الملح مقابل تنازلات تضمنت الإفراج عن عن آلاف السجناء السياسيين، إلا أن قانون الملح ظل ساريا إلى حد كبير لكنه أعطى الحق بما فيهم غاندي، وتحول غاندي لشخصية معروفة عالميا وأختر من قبل مجلة التايم كشخصية العام عقب احتجاجات الملح.

وفي عام ١٩٢٣ وعقب إطلاق سراحه، عقد اتفاقا مع اللورد إيروين، لإنهاء عصيان الملح مقابل تنازلات تضمنت الإفراج عن عن آلاف السجناء السياسيين، إلا أن قانون الملح ظل ساريا إلى حد كبير لكنه أعطى الحق بما فيهم غاندي، وتحول غاندي لشخصية معروفة عالميا وأختر من قبل مجلة التايم كشخصية العام عقب احتجاجات الملح.

وفي عام ١٩٢٣، حضر غاندي مؤتمر الطاولة المستديرة بلندن كممثل وحيد عن المجلس الوطني الهندي، لكن المؤتمر لم يكن مجددا.

وفي عام ١٩٢٢ عقب عودته للهند، وجد غاندي نفسه رهن الاعتقال مرة أخرى خلال إجراءات صارمة من قبل نائب الملك الهندي الجديد، وبدأ غاندي ستة أيام من الصوم احتجاجا على قرار فصل المنوبوين البريطاني، والمنوبون هم أنسى طبقة في المجتمع الهندي، وذلك باعتبارهم ناخبين منفصلين، وقد أجبر الغضب الشعبي البريطانيين على تعديل القرار.

في عام ١٩٢٤، ترك غاندي المجلس الوطني الهندي وانتقلت رئاسته لتلميذه جواهر لاه نهرو، لتجنب غاندي السياسة ويتشغل بالتعلم والفكر والمشاكل التي كانت تواجه الأرياف الهندية.

وفي عام ١٩٤٢ وأثناء انشغال بريطانيا بالحرب العالمية الثانية، أطلق غاندي حركة «أرجوا من الهند، الداعية ولانسحاب القوات البريطانية بشكل فوري من البلاد».

وفي نفس العام أيضا، اعتقل غاندي وزوجته وقادة آخرين بالمجلس الوطني الهندي من جانب بريطانيا

احتجاجهم بقصر أغاخان، حيث قال رئيس الوزراء ونسبون تشريش في خطابه أمام البرلمان تأييدا للإجراءات القمعية: «لم أصبح الوزير الأول للملك لأنرأس عملية تصفية الإمبراطورية البريطانية، ومع تراجع صحة غاندي أطلق سراحه عقب تسعة عشر من

الاحتجاج عقب وفاة زوجته.

وفي عام ١٩٤٥ عقب تغلب حزب العمال على المحافظين، لعب غاندي دورا فعلا في مفاوضات استقلال الهند مع المجلس الوطني الهندي ورابطة محمد على جناح للمسلمين، إلا أنه لم يحقق حلمه في وحدة الهند، وبدلا من ذلك قسمت شبه القارة الهندية إلى دولتين مستقلتين واحدة ذات الغالبية الهندوسية والأخرى ذات الغالبية الإسلامية.

وفي عام ١٩٤٧، ذهب غاندي في جولة المناطق اندلاع العنف والقتل بين المسلمين والهندوس في محاولة لنشر السلم وصام لإنهاء الدم،، إلا أن بعض الهندوس كانوا يعترضون غاندي خائفا لإظهاره تعاطفه مع المسلمين.

حمدي عابدين

كاتب مصري

ويوضح الكتاب أن تولستوي، المُهمّت دائما بالهند وعلاقتها الاجتماعية، وصراعها مع الحكم البريطاني، والفلسفة والديانة الهندوسية، تبادل في سنواته الأخيرة الرسائل مع عدد من المفكرين والمناضلين الهنوس، ويشكل رئيسي مع قادة الحركة الثورية. وذلك قبل سنتين من خطاباته مع غاندي، لكن من بين جميع الهندوس الذين تراسلوا معه، اعتبر تولستوي أن غاندي هو الأقرب إليه من الجميع.

الكتاب يحتوي على عدد من الأقسام تدور موضوعاتها حول: الإشرافي التعبوي، ومزرعة تولستوي، وعن الاشتراكية، و«رسالة إلى هندوسي»، والأخيرة كتبها تولستوي باللغة الروسية رداً على أحد محرري «هندوستان الحرة»، ووصلت عبر آياد كثيرة إلى غاندي الذي لم تعجبه ترجمتها إلى الإنجليزية، فأشرف على فيها بكتابتها ومكانته الفكرية والأدبية والروحية، وأصبحت واحدة الصيت في العالم كله، لا في روسيا وآسيا والهند فقط.

وفي «رسالة إلى هندوسي» تحدث تولستوي عن الطغاة والمقهورين، وقال إنه ما من شيء أكثر وضوحا من أن الرغبة في انتفاع الشعوب الهندية بأشكال الحياة الأوروبية لا تعكس وعياً دينياً لدى القادة الهنود حالياً. وغياب الوعي الديني والإرشاد السلوكي الذي يجب أن ينبع منه، هو نقص شائع في يومنا عند شعوب الأرض كافة شرقا وغرباً، وهو بمثابة السبب الرئيس، إن لم يكن الوحيد، لاستعباد الشعب الهندي بواسطة الإنجليز.

وتحدث صاحب رواية «الحرب والسلام» عن العنف والاستسلام له، ودعا الهنود إلى رفض جميع أشكال الخضوع للإنجليز، بما فيها الاشتراك في «الجندية»، وذكر أن ذلك هو السبيل الوحيد للخلاص من عبودية بريطانيا.

المقاومة السلمية

أما باقي الرسائل التي قام عليها الكتاب، فعددها ثمانية خطابات، وكانت الرسالة الأولى من جانب غاندي، وكتبها في أثناء وجوده في لندن، عام ١٩٠٩. وشرح خلالها لتولستوي، ما يدور في مستعمرة «ترانسفال» بجنوب أفريقيا ضد الهنود من تمييز وعنصرية وعملهم على مدى سنوات تحت وطأة معوقات قانونية مهينة، ولفت إلى أن الخضوع للقائون الذي صدر عام ١٩٠٦ يقيد وجود وحركة الهنود في جنوب أفريقيا، ولا يتوافق مطلقا مع روح الدين الحقيقي.

وتحدث غاندي في رسالته عن إيمانه وبعض أصدقائه الراضخ بمبدأ المقاومة السلمية للنشر، وقال إن الهدف من رحلته إلى بريطانيا يخصر في لئاء السلطات الإمبراطورية، ليعرض القضية عليهم، رجاء إعادة النظر في القانون، وتدارك

اختار المترجم المصري الدكتور أحمد صلاح الدين الرسائل المتبادلة بين قائد ثورة تحرير الهند ومؤسس دولتها الحديثة المهاتما غاندي، والكاتب والفيلسوف الروسي ليو (ليف) تولستوي، لتكون موضوعاً لكتاب «دولة الحب... مراسلات تولستوي وغاندي» الذي أعده وترجمه عن الروسية، وصدر حديثًا عن دار «الرافدين» في كل من بيروت وبغداد. ويرجع تاريخ الرسالة الأولى التي كتبها غاندي لتولستوي إلى نهاية عام ١٩٠٩، وهي الفترة التي شهدت أعلى مستويات الضغط في صراعِ غاندي من أجل نيل حقوق أبناء وطنه. أما آخر خطاب كتبه تولستوي فكان تقريبا قبل شهرين من وفاته، وحُفظت رسائلُ غاندي في الأرشيف الخاص بالمؤرخ والأثري الروسي ديمتري فيفيتش تشيرناكوف، وهو واحد من المهتمين بجمع الكتب، والعملات أيضًا.



«دولة الحب والمقاومة»

في مراسلات تولستوي وغاندي

وقوانين الدولة التي يعبرُ عنها ذلك الرُفض النابع من الضمير لتأدية الخدمة العسكرية. تحدث هذه الاعتراضات على بأنه منكر للغاية». وفي الشهر التالي مباشرة أرسل غاندي خطابه الثاني إلى تولستوي من لندن، يلتمس منه قبول كتاب مرفق بالرسالة، يتعلق بحياته، نصف أفراده من وضعهم تحت طائلة القضاء والمحكمة من أجل المبدأ، وطلب أفريقيا، ويعالج الكتاب الصراع الذي اعتبر غاندي نفسه جزءاً منه، وكُرِّس حياته له. وذكر غاندي أن الضلال من

قبل الهنود في «ترانسفال» يعد الأعظم في العصور الحديثة، سواء بالنسبة إلى الهدف المأمول، أو الطرق المتبعة للوصول إليه. وقال غاندي: «لست على علم بصراع لا يحاول فيه المشاركون تحقيق أي منفعة شخصية في نهاية الأمر، ولم يعان فيه نصف أفراده من وضعهم تحت طائلة القضاء والمحكمة من أجل المبدأ». وطلب غاندي تولستوي بأن يستخدم قوة تأثيره بأي شكل يراه مناسباً للترويج

حياته الخاصة، وأرفق برسالته كتبيا موجزًا، دعاه لتقديم نقد له. وقد تركت الرسالة انطباعاً رائعاً لدى تولستوي، أكثر من سابقاتها. وقد ذكر تولستوي في يومياته في أبريل (نيسان) عام ١٩١٠: «وصل اليوم اثنان من اليابانيين، سبغتهما البراءة يشعران بالسعادة أمام الحضارة الأوروبية، ورسالة وكتاب من هندوسي، يعبرُ عن فهم كل نواقص الحضارة الأوروبية، وربما كل خطاياها، قرأت مساءً ما كتبه غاندي عن الحضارة. رائع ومهم جداً».

ويعد ذلك كتب تولستوي رسالة لتشيرناكوف أخيره أنه قرأ الكتاب الذي أرسله إليه غاندي، ووصفه بأنه مفكر هندي ومحارب ضد الاحتلال الإنجليزي. وهو «قريب منا، ومنى»، ويشتر بأن أفضل أساليب المعارضة فعالية هي المقاومة السلمية. وفي رسالته للرد على غاندي قال تولستوي إنه قرأ كتابه «الحكم الذاتي الهندي» باهتمام بالغ، ووصف القضية التي يتناولها بأنها على قدر كبير من الأهمية، لا بالنسبة إلى الهنود فحسب، ولكن إلى البشرية بأسرها، واعتذر الكاتب الروسي عن عدم استطاعته أن يجيب عن كل الأسئلة المتعلقة بالكتاب، وبنشاطات غاندي عموماً، لأنه ليس على ما يرام، ووعده بالكتابة ما إن يتعافى من وعكته الصحية. وفي أغسطس (آب) ١٩١٠، كتب غاندي من جوهانسبرغ رسالة إلى تولستوي، تحدث فيها عن صديقه «كالينباخ» الذي اشترى مزرعة هناك وأطلق عليها «مزرعة تولستوي». وقال: «تجمعي والسيد كالينباخ صداقة امتدت لسنوات عديدة. وربما يمكنني القول إنه مر بأغلب التجارب التي وصفتها بدقة شديدة في كتابك (اعتراقاتي). لم يسبق لعمل أن لمس قلبه وعقله بهذا العمق كما فعل كتابك هذا، حتى إنه مثل له دافعاً حقيقياً للمضي قدماً نحو بذل المزيد من الجهد في سبيل جعل المنزل التي دعوت إليها واقعاً ملموساً في العالم، لذا سمح لنفسه، بعد التشاور معي، بأن يستمي مزرعته باسمك، وقام بمنحها للمقاومين السلميين».

ولم يتسلم تولستوي رسالة فقط بل كانت رفقتها رسالة أخرى من جيرمان كالينباخ، أخيره فيها بأن «مساحة المزرعة تبلغ نحو ١١٠٠ فدان، وضعتها تحت إمرة غاندي لاستخدامها من قبل المقاومين السلميين لعنصري باستخدام اسمك، وجدت أني مدين لك بالتفسير، وتبرير استخدام اسمك، وأضاف أنها تأتي كمحاولة منه كي يكون جديراً بتبني أفكار غاندي، تلك التي منحها بشجاعة للعالم».

المدهش في أمر هاتين الرسالتين أنهما، حسب ما أشار المترجم أحمد صلاح الدين، كان لهما بالغ الأثر على تولستوي والذي زاد اهتمامه بغاندي. وقد كتب في يومياته في ٦ سبتمبر (أيلول) عام ١٩١٠: «أخبار سارة من ترانسفال عن مستعمرة للمقاومين السلميين»، كان في ذلك الوقت يعاني من حالة نفسية سيئة للغاية نتيجة خلافات مع زوجته، تسببت له في متاعب جسدية، ورغم ذلك، رد فوراً على رسالة غاندي، في اليوم الذي تلقاها فيه، قائلاً: «إن ما يمكن أن نطلق عليه المقاومة السلمية، ليس في الواقع سوى مبدأ الحب الصافي الذي لا يشوهه تفسير مزيف، فالحب هو الطرح إلى التوحيد والتضامن مع أرواح الأخرى. وهو بمثابة إطلاق العنان لأفعال نبيلة. إنه القانون الأسمى الفريد للحياة الإنسانية».

وحين عاد إلى جوهانسبرغ كتب غاندي مجدداً لتولستوي، وأخبره بأن السلطات في الهند صارت كتابا كتبه بنفسه عن

غاندي وتولستوي

ضياء نافع

لا زال هذا الموضوع الكبير والمهم فعلا مطروحا – وبقوة وحيوية – أمام القراء العرب لحد الآن حول الكاتب الروسي الكبير ليف نيقولايفتش تولستوي (١٨٢٨ – ١٩١٠)، ونحن في أواسط العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين ، وأكثر أن أحد الزملاء العرب من الوفد الغلاني قد تناقش مع زميل عربي آخر من الوفد الفستاني (في الباص الذي نقلنا من موسكو الى ياستايا بوليانا أثناء انعقاد اجتماع المكتب الدائم لاتحاد أدباء آسيا و أفريقيا في ايلول ٢٠١٤ لزيارة بيت تولستوي) حول موقف هذا الكاتب الروسي من الدين الاسلامي (وهو موضوع كان ولايزال يثار حوله نقاش طويل وعريض في اوساطنا العربية والاسلامية) حصرا فقط لا غير وخصوصا في السنين الاخيرة منذ ان بدأت (الفتاوي !!!) تتدفق بابنا ، عندما بانث (ثم بدأت الآن تتلامع) رؤوس الحراب !!!!!!)، ولما وصل هذا النقاش الى نقطة متأزمة ومنتشجة ومنتفضة كليا و لا رجعة فيه بين الجانبين ، اقترح احدهما ان يستمع الى رأي الشخصخي حول ذلك الموضوع في محاولة لإنهاء هذا النقاش الفلسفي والمتشابك باعتقاري طرفا ثالثا ومتخصصا عربيا في الابد الروسي وتاريخه و (محايدا في هذا النقاش) ، اذ اني كنت طوال الوقت صامتا ومبتسما وأصغي بكل انتباه الى أقوالهما ونقاشاتهما الحادة والمنتفضة جدا حول ذلك ، وعندما حاولا – كلاهما – الاستماع الى وجهة نظري قلت لهما فقط (في محاولة لتهدئة الخواطر المتأججة والمنتبهة جدا والمنطرفة كما هي العادة في نقاشاتنا العربية !!)، ان تولستوي هو فيلسوف روسي ويعد واحدا من ابرز الشخصيات المؤثرة في تاريخ هذه الفلسفة ، وان العالم يعرف ان من تلاميذه الروجين – ان صحت التسمية – هو غاندي ، وسألتهما – هل هما متفقان حول ذلك ، فأجابا كلاهما – نعم ، هذا صحيح ، فقلت لهما وانا ابتسم ، اذا كنتما متفقين بشأن ذلك ، فان موضوع نقاشكما محسوم عندها ، اذ من الواضح للجميع تماما من هو غاندي ، وبالتالي سيكون واضحا ايضا من هو استانه الروحي تولستوي ، و لا نريد في مقاتلتنا هذه الاستطراذ في طبيعة ذلك النقاش الذي جرى بينهما حول موقف تولستوي من الاسلام ، لان ذلك موضوع آخر في مسيرة تولستوي ومكانته في تاريخ الافكار ، اذ اننا نعتقد ان القارئ العربي لا يعرف الكثير حول ذلك الموضوع ، ومع ذلك ، وعلى الرغم من ذلك ، فان بعضهم قرر اعتبار تولستوي يقف مع هذا الجانب او ذاك دون الأخذ بنظر الاعتبار الوقائع المحددة في حياة ومسيرة هذا الاديب والفيلسوف الروسي الكبير.

نعود الى المهاتما غاندي (١٨٦٩ – ١٩٤٨) ونتوقف عند علاقته الفكرية مع تولستوي . لقد تتناولت كل الدراسات والبحوث الروسية – ومنذ زمن بعيد – هذا الموضوع وبتفصيل كبير ، وعرضت حتى نصوص المراسلات المتبادلة بينهما باللغتين الإنكليزية والروسية ، والتي تشير الى ان الرسالة الاولى كتبها غاندي نفسه الى تولستوي بتاريخ الاول من اكتوبر / تشرين الاول عام ١٩٠٩ ووقعتها ب (خادمك المطيع) ، واجابه تولستوي بتاريخ ٧ اكتوبر / تشرين الاول من نفس العام ، ثم كتب له غاندي بتاريخ ٤ ابريل / نيسان عام ١٩١٠ بنفس التوقيع المذكور ، واجابه تولستوي بتاريخ ٢٥ مايس / ايار عام ١٩١٠ طبعا ، وكتب غاندي آخر رسالة الى تولستوي بتاريخ ١٥ آب / اغسطس من نفس العام واجابه تولستوي بتاريخ ٧ ايلول، وهي آخر رسالة الى غاندي ، اذ انه توفي بعد شهرين فقط من تاريخ تلك الرسالة . وحتى المصادر العربية تحدثت – بشكل او بآخر – حول هذا التناغم الفكري بينهما، ولكن بطريقة عرضية وبدون تعمق ، وقد رجعت معظم تلك المصادر ووجدت انها تقو وتعترف بتأثير افكار تولستوي على غاندي منذ ان اطلع على كتابه الشهير (مملكة الرب في اعماقكم) والتي جاءت بمختلف الاجتهادات في الترجمات العربية مثل – (الخلاص في انفسكم / الله في اعماقكم / .. الخ) ، وان غاندي وجد في تعاليم تولستوي سندا معنويا قويا وحاسما له حول المبدأ الذي آمن واقتنع به وهو مبدأ (المواجهة السلمية) او (عدم العنف) او (اللاعنف) او (المقاومة السلمية) او (اللامقاومة) او (العصيان المدني) الى آخر هذه التسميات كما جاءت في مختلف تلك المصادر ، وان غاندي استخدم هذا المبدأ في فكاحه العظيم من اجل تحرير الهند من الاستعمار البريطاني ، ونجح في ذلك نجاحا باهرا كما هو معروف على الرغم من نهايته التراجيدية، ونجد في نص الرسالة الاخيرة التي كتبها تولستوي نفسه الى غاندي بتاريخ ٧ ايلول / سبتمبر عام ١٩١٠ كما أشرنا أعلاه الكلمات الأتية – (.. هذه شريعة الحياة الوحيدة والعليا .. وهذه الشريعة اعلمها حكماء الكون جميعا .. و اعتقد ان أجلى صياغة لهذه الشريعة جاء بها المسيح .. وكل انسان عاقل يعرف ان ممارسة العنف لا تتوافق مع المحبة بوصفها قاعدة الحياة الاساسية ..) ، ومن الطريف الإشارة هنا الى الرأي الذي كتبه المفكر المصري الكبير عباس محمود الغفار (١٨٨٩ – ١٩٦٤) حول ذلك في موسوعته الاسلامية (المجلد الثاني) ، اذ انه اكد على هذه الحقائق والوقائع في حياة غاندي و كتب ما يأتي – (..وقيل ان غاندي قد تتلمذ في هذه الحركة على المصلح الروسي الكبير ليون تولستوي ، وقيل بل هو احرى ان يعرفها من آداب البرهيمييين والبوذيين التي تحرم ايداء الحيوان فضلا عن الانسان ، قبل ان يشرّع ليون تولستوي منبهاه الجديد . وهذه ملاحظة صحيحة و دقيقة ، اذ ان افكار تولستوي فعلا كانت بالنسبة لغاندي سندا آخر كما اشرنا اعلاه ، وهو سند قوي وحاسم طبعا قبل الشروع بتنفيذ افكاره والانطلاق بها في مسيرة التطبيق العملي والحياتي . ان الخلاصة في هذا الموضوع تكمن في ان تولستوي قد أخذ من كل النظريات التي اطلع عليها ومن كل الابيان التي درسها بعين نقاط محددة واستخلص استنتاجات معينة ، وان افكاره بشأن (اللاعنف) قد استمدتها من المسيحية – فقبل كل شيء – كما يشير هو في رسالته الى غاندي ، اي ان فلسفة تولستوي هي مزيج حيوي متناسق من كل النظريات والايان ولا يمكن – بالتالي – اخضاع فلسفته وافكاره لتلك الين واحد ، والخلاصة الاخرى في هذا الموضوع تكمن في ان غاندي قد وصل الى فكرة (اللاعنف) من اطلاعه على التراث الهندي العميق او لا ، وانه وجد التناغم والانسجام مع افكار تولستوي في هذا المجال.

المهاتما غاندي

وقوة اللاعنف التي لا تقهر



حسونه المصباحي

كاتب مغربي

وقد نصحه البعض باللجوء إلى الكفاح المسلح غير أنه رفض ذلك رفضاً قاطعاً، وكانت قراءاته لأعمال الروائي الروسي تولستوي هي التي أنقذته من داء العنف بحسب تعبيره، لذا فضل منذ البداية النضال بالطرق السلمية، مؤسساً حزبا ومصدرا جريدة "أنديان أونيون"

وشيئا فشيئا أصبح سياسياً معروفا ومحاميا ناجحا، وفي عام ١٩٠٦، ثار "الزولو" ضد البريطانيين. وقد تعاطف غاندي معهم غير أنه ارتأى أن الحكمة السياسية تقتضي منه أن يظهر مو لاته للإمبراطورية البريطانية، وفعلا قام بذلك. ففي تلك الفترة لم يكن يفكر في المطالبة بالاستقلال، وكان هدفه الأساسي هو الدفاع عن حقوق الهنود المدنيين، لكن من داخل النظام، وليس من خارجه.

لهذا السبب تطوّر في الجيش البريطاني كمرص، وواجه "الزولو" المتطرفين. وكانت المعارك قاسية وعنيفة ودموية، وقد عاين غاندي مشاهد مروعة كان فيها العنف بارزا وطاغيا بشكل مخيف، وأمام تلك المشاهد حدثت الصدمة العنيفة التي ستقوده إلى الضوء، الضوء الذي سيغيّر حياته تغييرا جذريا. وفي ما بعد سيكتب قائلا بأنه اكتشف الحقيقة فوق أرض المعركة، واهتدى إلى أنّ النضال السلمي هو الطريقة المثلى لمقاومة الاستعمار البريطاني الجاثم على بلاده منذ منتصف القرن الثامن عشر.

كتب تولستوي يقول ذات مرة: "إن المجموعة الصغيرة من الناس التي تهيمن على الجماهير الغفيرة للعمال، والتي تتمتع بكل ما تنتجه هذه الجماهير، تعيش البطالة، وفي تصرف غير معقول، وتنفق بلا حساب وبطريقة بشعة، غير أخلاقية من أجل إسعاد نفسها". ولكي يقرن القول بالفعل تخلى تولستوي عن أرضيه لصغار الفلاحين (الموجيك)، ومثلهم أخذ يرتدي ثيابا بسيطة ويصنع أحذيته بنفسه. وثمة مفكرّون وفلاسفة أناروا السبيل أمام غاندي، فإلى جانب تولستوي، تأثر غاندي كثيرا بأفكار الأميركي دافيد تورو صاحب فكرة "العصيان المدني". ومثله أصبح يعتقد أن المواطنين لهم الحق والواجب في عصيان القوانين الأَخلاقية. بالإضافة إلى ذلك كان تورو يعتقد أن ما يكتسب بالقوة لا يمكن المحافظة عليه إلا بالقوة.

وعند عودته إلى الهند دعا غاندي شعبه إلى النضال ضدّ الاستعمار البريطاني بالطرق السلمية، وبواسطة ما سماه بـ"العصيان المدني"، حاثا شعبه على العمل من أجل التخلّص من كل تبعيّة للاستعمار وذلك من خلال رفض كل منتوجاته، وعدم تقليده في طرقه الحياتية والفكرية. كما طالبه بالتعلّق بثقافته الأصلية واللغات المنتشرة في الهند، والتي كان الاستعمار يعمل على تدميرها لتسهيل سيطرة لغته على جميع الفئات.

وقد كتب غاندي يقول: "إن الحضارة الحقيقية لا تقتضي منّا الإكثار من الرغبات والضروريات، وإنما الحدّ منها إراديا. تلك هي الطريقة الوحيدة لكي نتمتع بالسعادة الحقيقية، ونصبح قادرين على الاهتمام بالآخرين ومساعدتهم". ومثلهما نصائحته إلى الهنود الذين كانوا كثيرين آنذاك في جنوب أفريقيا، وقد نصحه البعض باللجوء إلى الكفاح المسلح غير أنه رفض ذلك رفضا قاطعا. ولعل قراءته لأعمال الروائي الروسي تولستوي هي التي أنقذته من داء العنف بحسب تعبيره، لذا فضل منذ البداية النضال بالطرق السلمية، مؤسساً حزبا، ومصدرا جريدة "أنديان أونيون".

حدثت شخصي دفع غاندي إلى النضال من أجل حقوق الهنود الذين كانوا كثيرين آنذاك في جنوب أفريقيا،

الاستعمارية، وبعد حصول الهند على استقلالها، وذلك عام ١٩٤٧، حاول التوفيق بين المسلمين والهنودس، معارضا انفصال باكستان عن الهند.

غير أنه لم يفلح في ذلك. وفي ٣٠ يناير ١٩٤٨ اغتاله أحد المتطرفين الهنودس، وقد علق العالم الشهير أينشتاين على ذلك الحدث الفاجع قائلا: "سيكون من الضعب على الأجيال القادمة أن تدرك أن هذا الرجل، (يعني غاندي) الذي من لحم ودم، عاش فعلا بين الناس، وكان غاندي يصلي باسم الهنودس وباسم المسلمين وباسم المسيحيين، وكان يخيف الأعداء ويحترم الضعفاء، وحتى النهاية، جعل من رفض العنف فلسفته في الحياة وفي السياسة، وكان أنصاره يسمّونه "بابو" أي "الأب" باللغة الفاندية، وحتى هذه الساعة لا يزال غاندي حاضرا في قلوب أبناء شعبه، كما في قلوب المناهضين للقوة والعنف في جميع أنحاء المعمورة.

ولا تزال صورته بزّي زاهد متقشف ترزّن الأوراق النقدية وطابع البريد وجدران المدارس والجامعات الهندية. وهناك زعماء كثيرون تأثروا بغاندي وبأفكاره مثل المناضل الرّنجي الأميركي مارتن لوتر كينغ، والرّعيم البولوني ليش فاليزا والرّعيم الأفريقي نلسون مانديلا.

وفي نهاية حياته، ورغم تنديده بما تعرّض له اليهود خلال الحرب الكونية الثانية، أدان غاندي قيام دولة إسرائيل قائلا: يرتكب اليهود خطأ فادحا عندما يريدون أن يفرضوا وجودهم في فلسطين بالقوة، وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية".

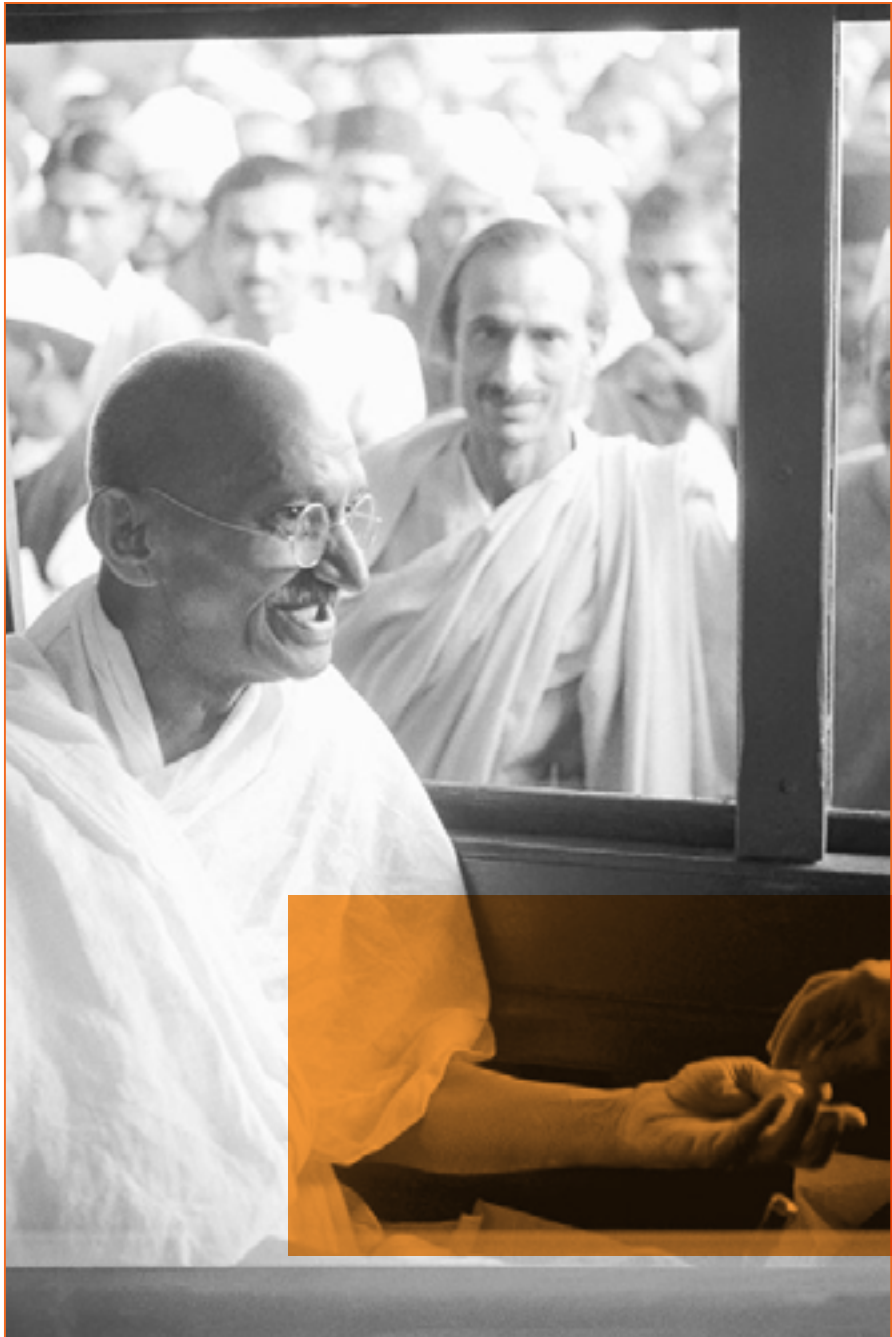
أكد غاندي أن الدعوة إلى اللاعنف موجودة لدى كلّ الديانات، لكنّي أعتقد باعتزاز أن الهند ربما هي التي

من خلال تجربتها، حوّلت هذه الدعوة إلى علم. لقد ضحّى عدد لا يحصى من القديسين بحياتهم في التكفير عن خطاياهم (تاباشرايا بالسنسكريتية) حتى أحسن الشعراء أن يوسع جبال الهماليا ببياضها الناصع أن تظهر من خلال تلك التضحيات، لكن كل ممارسة اللاعنف تلك أضحت شبه منسية اليوم، لذا من الضروري إعادة إحياء القانون الأزلي الذي يرّد على الغضب بالحُب، وعلى العنف بالاعتف.

وعن الإسلام قال غاندي: "يقول لي بعض أصدقائي المسلمين إنهم لن يقبلوا البتة المفهوم المطلق للاعنف. فبالنسبة إليهم، على حدّ زعمهم، للاعنف نفس مشروعية العنف، واستعمال كليهما يخضع للظروف، ما يعني أنّ كليهما لا يحتاج إلى فتوى لتبرير مشروعيتهما، وأنّ هذا درب معروف مرت به الإنسانية على مر العصور.

لكنني سمعت من العديد من أصدقائي المسلمين أن القرآن يبشر بالاعتف؛ فهو يعتبر الصبر أسمي من الانتقام، وكلمة إسلام بحد ذاتها تعني السلام الذي هو اللاعنف. بادشاه خان، الذي هو مسلم عن قناعة ولم يفرض يوما لا بصلاة ولا بصيام، قبل باللاعنف عقيدة. وليست حجة أن تقول إن حياته لم تكن على مستوى ما آمن به، حتى وإنني، يا لتخلّجتي، لم أفعل مثله في حياتي. والحجة التي تقول بأنّ اللاعنف، بالنسبة إلى القرآن، هو قضية تأويل، لست في حاجة إليها في دعوتي".

إلى جانب تولستوي، تأثر غاندي كثيرا بأفكار الأميركي دافيد تورو صاحب فكرة "العصيان المدني". ومثله أصبح يعتقد أن المواطنين لهم الحق والواجب في عصيان القوانين الأخلاقية، بالإضافة إلى ذلك، كان تورو يعتقد أن ما يكتسب بالقوة لا يمكن المحافظة عليه



إلا بالقوة. طلق غاندي مذهب اللاعنف حتى فقد حياته بسببه، بينما استند شخصيا على تاريخ الفكر الديني الهندي القديم من أجل تطبيق مفاهيم اللاعنف أو المقاومة السلمية (أهيمسا باللغة الهندية). وضح غاندي هذا في سيرته الذاتية: "عند ياسي، أتذكر أن الحق والحب هما اللذان يربحان دائما على مدار التاريخ، كان المتحالفون والحكام المستبدون يعتقدون أنهم لا يهزمون ولو حتى في فترة من الفترات، ولكن دائما في النهاية يخسرون".

قال غاندي: "ماذا سيغير الدمار الجنوني من أجل الموتى، والذين بلا مأوى، واليتامي الذين يعملون تحت اسم الحرية والديمقراطية أو بسبب الشمولية، ورأى أنه ستكون هناك العديد من القضايا "من جراء مجازفتي بحياتي، لكن عندما أقتل، فلن تكون هناك قضية واحدة".

وصف غاندي مقاومة القوات والحكومات للعنف بالشكل التالي: "الجيش التصدي للعنف لن يتعامل مثل الأشخاص المسلحين سواء في أوقات الحرب أو في أوقات السلام، وإذا كنت تتعرض لهجوم من خارج المجتمع اللاعنفي، فهناك طريقتان مفتوحتان لمواجهة العنف، عدم التعاون مع المهاجم، وتفضيل الموت بدلا من الانحناء والخضوع، أما الطريقة الثانية، فهي اللاعنف الذي سيقوم به الأشخاص الذين نشأوا على طريقة نبذ العنف، إن الصورة غير المتوقعة والتي لا نهاية لها التي كوّنها النساء والرجال الذين يفضلون الموت عن الخضوع لرغبة المعتدي، هذه الصورة ستلن قلب معديهم وعساكرهم.

فالأمة أو المجموعة التي اختارت مبدأ اللاعنف كراي سياسي أساسي لا يمكن إدانتها بالعبودية أو حتى بالغنيلة الذرية، فمستوى اللاعنف إذا جرى تطبيقه في هذه الدولة سيرتفع بشكل طبيعي، وسيحترم بشكل عالمي".

وقدم غاندي نصائحه تلك للشعب البريطاني للوقوف في وجه النازية، حين احتل هتلر الجزر البريطانية في العام ١٩٤٠، فقال: "أود تركم بسبب، سواء أنتم أو أسلحتكم التي تمتلكونها غير كافية لإنقاذ البشرية، أدعوا هير هتلر وسيتنور موسوليني، من أجل أخذهم ما يريدون من البلاد التي تعتبرونها وجودكم وكيانكم، لو أراد هؤلاء النبلاء دخول منازلكم، اتركوا منازلكم. في لندن حيث درس القانون، أصبح غاندي نباتيا، كما اكتشف المسيحية، وقرأ الإنجيل بشكل جديد مستلهما منه دروسا ومواعظ كثيرة في الأخلاق والسياسة، وفي أفريقيا الجنوبية حيث عمل محاميا على مدى عشرين عاما، وجد نفسه مجبرا منذ البداية على مواجهة العنصرية البيضاء

أمن غاندي بأنّ للبشر شريعتهم العليا، وهي مبدأ اللاعنف، وقال إن "اللاعنف هو شريعة الجنس البشري، وهو أكبر وأسمى بما لا يقاس من شريعة القوة العاشمة، وفي نهاية المطاف، هو لا يليق بأولئك الذين لا يملكون إيمانا حيا بالوهية المحبة، يؤمن اللاعنف حماية كاملة لاحترام المرء ذاته، ويعطيه شعورا بالكرامة، وإن ليس دائما فيمَا يتعلق بملكية الأرض أو بالملكية المنقولة، لكن التجربة العملية تقول إن اللاعنف يؤمنّ درعا أفضل لحمايتها مما يؤمنّه رجال مسلحون.

اللاعنف هو الطبيعة الفعلية للأشياء، وإن كان لا يقيد في الدفاع عن المكتسبات غير المشروعة، والأفعال غير الأخلاقية. لذا يجب على الأفراد أو الأمم الذين يطبقون اللاعنف أن يكونوا مستعدين للتضحية بكل شيء (حتى آخر رجل بالنسبة إلى الأمم) ما عدا التضحية بشرفهم".

وقد فضل في الدعوة إلى اللاعنف والتبشير به، بوصفه قوة يمكن للضعفاء استخدامها، فكتب أن "اللاعنف قوة يمكن أن يستخدمها الأطفال والشباب والنساء والبالغون، شريطة أن يمتلكوا إيمانا حيا بالوهية المحبة، وحنا متساويا للجنس البشري. لذلك، عندما نقبل باللاعنف كقانون للحياة فمن الواجب أن يشمل هذا القانون كلبيته، لا أن يكون مجرد أفعال منفصلة. ومن الخطأ الكبير الاعتقاد بأنّ القانون يصحّ على الأفراد، ولا يصحّ على الجنس البشري ككل".

واعتبر أن اللاعنف هو وحده القانوني، فالعنف ليس بوسعه أن يكون قانونيا، أي تعبير آخر، ليس بوسع العنف أن يكون قانونيا وفقا لقانون وضعه الإنسان بل وفق القانون الذي صنّعه الطبيعة للإنسان.

● عن: جريدة العرب اللندنية

manarat

WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

مخبر

مدى

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني

حيدر الكواز

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى

مدى

للاعلام والثقافة والفنون

هلال - بالكتاب معرض العراق الدولي للكتاب Iraq International Book Fair

دورة مظفر النواب

على ارض معرض بغداد الدولي للفترة من 11 الى 21/12/2019



معارف

قبل أعوام زار الكاتب البريطاني باتريك فرينج منقطة سابارماتي أشرم، في ضواحي احمدي آباد في ولاية كوجارت- الهند، والتي بدأ فيها المهاتما غاندي المسيرة التي أطلق عليها "حملة الملح"، متوجهاً نحو البحر، في عام ١٩٣٠، وفوجئ فرينج بقذارة أجزاء من المدينة، علماً إن تعليمات غاندي كانت تركز على أهمية النظافة.

ترجمة عبد الخالق علي

غاندي اعادة اكتشاف العالم

وما لم يتم الاستقلال التام في الهند. وغاندي، ما يزال حتى اليوم يدعى بـ "أب الأمة"، في الهند، ولكن تعليماته عن الحرف اليدوية، (النسيج) والعيش البسيط، قد تخلت عنها الهند، والتوتر بين الهندوس والمسلمين ما يزال قائماً، وما تزال أيضاً الفوارق قائمة بين طبقات المجتمع. ويرى المؤلف أن المأساة الحقيقية في حياة غاندي لا تعود إلى اغتياله في النهاية، وليس بسبب نبله الذي ولد كراهية في قلب قاتله، أن العنصر المأساوي يكمن في أنه مثل، الملك لير، أرغم في النهاية على رؤية أحلامه لا تتحقق كما تمنى وإنما لم تقدر على إعادة تشكيل العالم. ويقول المؤلف: إن غاندي كافح والشك يساوره، وخاصة في أيامه الأخيرة، بإذلا جهده في القضاء على التوتر بين طوائف الشعب الهندي المتعددة، وقد كتب قبل ثلاثة أسابيع من اغتياله من قبل احد أفراد طائفته: "علينا اليوم أن ننسى إننا هندوس أو سيخ أو مسلمون... ولكننا جميعا نعبد الله". كان غاندي قائداً ثورياً، طالب في بداية حياته في جنوب أفريقيا بالاتحاد ضد الظلم، وكان ثوريا عندما عاد إلى الهند إبان الحرب العالمية الأولى، وكان ثورياً في عام ١٩٤٧، عندما أعلن استقلال الهند، وهو ما يزال ثورياً في العالم اجمع.

أو دائمة- وقد تعرض للضرب، إثر اشتباه في سلوكه وأنه يعقد صفقة مساومة مع السلطات الحكومية هناك، ولكن تلك الحملات علمته كيفية قيادة الجماهير وتحريكها، جماهير الطبقة الوسطى من الهندوس والمهاجرين الفقراء جداً من المسلمين الهنود، وكما قال عن نفسه، "لقد وجد مهمة حياته"، مهمة بدأت أولاً في الدعوة إلى المساواة ما بين الهنود والبيض، ثم ما بين الهندي الفقير والغني. وهو بعد عودته إلى الهند عام ١٩١٥، أعلن ما أسماه بـ "الأعمدة الأربعة للحكم الذاتي"، وعقد تحالف ثابت وراسخ بين الهندوس والمسلمين، ونشر مبادئ اللاعنفا عالمياً، ونشر الحرف اليدوية في القرى الهندية التي يبلغ عددها، ٦٥٠,٠٠٠ تقريباً، مع محاربة فكرة إطلاق تسميات مثل "المنبوذ"، أو "النجس"، على الطبقات الدنيا من الناس. وفي مسيرته، صادف مجموعات من الأعداء- البعض منهم ظنّه متعاطفاً مع المسلمين، والمسلمون اعتقدوا أنه نداءاته وسياسته، هي جزء من خطة هندية، وبريطانيون اعتقدوا أنه ثوري راديكالي، والى غير ذلك من الأمور. وكان غاندي يعلن في خلال مسيرته، أن الحرية التامة لن تحقق ما لم تلغ الفوارق بين طبقات المجتمع،

من مكان إلى آخر. إن العقدين اللذين أمضاهما غاندي في جنوب أفريقيا كانا افتتاحية لحياته، ويتناولهما ليليفيد بجديّة تستحقانها. لقد كتب غاندي مرة في منتصف حملته ضد سياسية البند، "لقد حاربت ذلك المبدأ في جنوب أفريقيا إنجاً بعد إنج". وقد استغرق أمر تحويل ذلك المعتقد الضمني واقع ملموس زمناً من حياة المهاتما غاندي، فعندما وصل موهانداس كارا مجاندي غاندي إلى دوربان من بومباي عام ١٨٩٣، كان في سن الـ ٢٣ من عمره، محامياً في مرحلة التمرين، مستأجراً من قبل تاجر هندي مسلم لمتابعة قضاياها في المحاكم، وكان غاندي آنذاك مهتماً بدراسة الأديان وتناول القليل من الطعام، ولم تكن السياسة تقع ضمن تلك الاهتمامات، ولكن جنوب أفريقيا وأحوالها استفزته ودفعته إلى العمل. وفي بداية الأمر واجه غاندي قوانين التمييز العنصري وأوضاع عمال المزارع وسكة الحديد، الذين كانوا يشكلون آنذاك النسبة الأكبر من المهاجرين الهنود، والحملات التي قادها تحت شعار، "العنف"، تواصلت أعواماً، منادياً بالمساواة بين الملونين والسكان البيض. وكما يقول المؤلف فإن نتائج حملته تلك في جنوب أفريقيا، لم تكن واضحة

لقد بقيت بعض تلك التعليمات وجاءت غيرها على مرّ الأعوام، وعلى سبيل المثال فإن الأمريكيين، كما يقول المؤلف لا يعرفون عن غاندي، غير ما شاهدوه في فيلم سينمائي يتناول حياته، إن الفيلم الذي مثله بن كينغلي كان جيداً، ونال الممثل عنه جائزة الأوسكار، ولكنه لم يقدم الصورة الحقيقية للمهاتما: الرحالة والسياسي البار، ونصير الفقراء والمجدد والمصلح الاجتماعي. إن فلسفة غاندي هي غاية بحث المؤلف جوزيف ليليفيد ورؤيته الاجتماعية وكفاحه من أجل تطبيق أفكاره على المجتمع الهندي، وليليفيد كاتب أختص بحياة غاندي على جانبي المحيط الهندي، وقد غطى مرحلة حياة غاندي في جنوب إفريقيا لصحيفة نيويورك تايمز (وفاز عن ذلك بجائزة البوليتزر عام ١٩٨٦، عن التمييز العنصري)، وأمضى أيضاً عدة أعوام في أواخر الستينات، مراسلاً للصحيفة في الهند. وسيرة حياة غاندي، في الكتاب الجديد لا تغطي كافة مراحل القائد الهندي الراحل، إذ إن القراء يعرفون بلا شك المراحل الأساسية في حياته، وقد تناولتها شعراء الكتب من قبل، وهي أيضاً ليست للمبتدئين، فهو يتناول مراحل أساسية في حياة غاندي في جنوب أفريقيا وفي الهند، منتقلاً